IUGJEPS
Vol 28, No 4, 2020, pp 171 -187

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (11-7-2019)، تاريخ قبول النشر (24-8-2019)

مشروع المصاحف في عصر الخلافة الراشدة

اسم الباحث: د. سهاد أحمد قنبر

1 اسم الجامعة والبلد: القرآن وعلومه-الشريعة-جامعة الملك خالد

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Souhad_k@yahoo.com

الملخص:

يلقي هذا البحث الضوء على أهم مشروع رسمي عرفه المسلمون في تاريخهم لتعلقه بكتاب الله وهو الذي أصبح منذ لحظة نزوله القطب الذي دارت عليه أحوالهم، وقامت عليه معارفهم وعلومهم.

وبالرغم من كثرة المؤلفات في هذا الموضوع إلا أن بعض الإشكالات ما زالت عالقة بلا حل، وبعض الأسئلة ما زالت تحتاج إلى أجوبة.

والحق أن كل من كتب في الموضوع لم ينظر له على أنه مشروع متكامل فجعلوا جمع أبي بكر حدثاً مستقلاً عن جمع عثمان، ولم تتحدث أبحاث تاريخ المصحف عن مصير المشروع في عهد عمر رضي الله عنه مما يجعل هناك فجوة بحثية ينبغي أن تُعالج، ووجدت بأن النظرة الكلية الشمولية لما حدث في العصر الراشدي من جمع وتدوين والقول بأنه مشروع واحد قد تسهم في حل إشكالات عدة.

كلمات مفتاحية : كتابة القرآن، تاريخ جمع القرآن، مصحف أبي بكر، مصحف عثمان.

Al Masahif project in the era of the Rashidi Caliphate

Abstract:

This research shed a light on the most important historical project The Muslim nation have ever knew, because it is related to the holy Quran the main pillar of the Muslims life, which became the moment it was revealed the Pole which their Conditions revolved around it, and their knowledge, Sciences, and certainties are based upon it.

although there are frequent publications that have dealt with this issue, but still there exist much unresolved debates and unanswered queries. And the truth is all that have been written so far doesn't possess the comprehensive view surrounding the topic as a whole, the researches in the past made Abu Bakr gathering of Quran a separate project from Uthman writing of Al masahif, and many of the historian documentations didn't comment about the fate of this project in the time of Omar, so there is a scientific gap which needs to be addressed and solve. my research tried to prove that collecting and writing Al- masahif in Rashidi era is one integrated project began at the time of Abu Bakr and finished in a time of Uthman, this holistic view will contribute to the solution of several problematic issues.

Keywords: Writing the Quran, The history of collecting the Qur'an,

المقدمة المنهجية:

الحمد لله المنّان، الذي أنزل القرآن، وتعهد لنا بحفظه يقول تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر: ٩)، ومن حِفظه تعالى أن صرف همة الأمة لجمعه وتدوينه والعناية بعلومه منذ لحظة نزوله إلى الآن. ويُعد مشروع المصاحف الذي تم في العصر الراشدي من أسباب الحفظ التي هيأها الله للأمة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة محاولةً رسم صورة كلية للمشروع للوقوف على مراحله ومجرياته ومنجزاته.

ولا يفوتني أن أقول إن هذا البحث هو استنطاق للتاريخ، ولا علاقة له بوثاقة النص القرآني، فالقرآن محفوظ بحفظ الله وحفظه في الصدور وتواتره هو الأصل في صحة نقله.

كما أني لم أعرض في بحثي للشبهات المثارة في موضوع جمع القرآن فهذا ليس من مقاصد البحث.

منهج البحث:

استدعت طبيعة الدراسة استعمال عدة مناهج بحثية وهي:

- المنهج التوثيقي القائم على جمع الروايات المتناثرة من مظانها وإعادة تركيبها بطريقة علمية متناسقة، وهذا الجمع للمادة العلمية في البحث كان عن طريق الاستقراء، وبعد الاستقراء للمادة قمت بتصنيفها ثم توثيقها عن طريق النظر في أسانيد الروايات ما أمكن لمعرفة صحتها، والنظر في متونها لمعرفة مقاصدها.
- المنهج المقارن لأن المقارنة والموازنة بين الروايات تسهم في معرفة الراجح من المرجوح، والقوي من السقيم، وتسهم كذلك في تجلية الكثير من الأمور المشكلة.
- المنهج التحليلي القائم على دراسة الإشكالات العلمية في موضوع جمع وتدوين القرآن؛ تفكيكاً وتركيباً، وتقويماً، وهذا يسهم في بناء الصورة الكلية لموضوع الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مشروع المصاحف في عصر الخلافة الراشدة؛ أسبابه، ومراحله، ومنجزاته، والأسماء البارزة فيه.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما أسباب مشروع المصاحف في العصر الراشدي؟
- ما مراحل المشروع؟
- ما منجزات مشروع المصاحف في العصر الراشدي؟

الدراسات السابقة:

- كتب علوم القرآن: ومنها كتاب الزركشي البرهان في علوم القرآن وقد بحث قضية جمع القرآن في النوع الثالث عشر تحت عنوان :(في بيان جمعه_أي القرآن_ ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم) ، وكتاب السيوطي الإتقان والذي عرض فيه لجمع القرآن في النوع الثامن عشر تحت عنوان (في جمعه وترتيبه)، وذكرها الزرقاني في مناهل العرفان تحت عنوان: (في جمع القرآن وتاريخه ...) ، والدكتور فضل عباس في كتابه إتقان البرهان، والدكتور مساعد الطيار في كتابه المحرر في علوم القرآن وغيرهم كُثر من المتقدمين والمتأخرين.
- المؤلفات التي اختصت بتاريخ جمع المصحف وتوثيقه: ومنها كتاب جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث للباحث محمد شرعي أبو زيد[1] وهو كتاب موجود على الشبكة العنكبوتية، وبحثُ (جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين) للدكتور فهد الرومي وغيرها الكثير من المؤلفات.

وكل الكتب التي عرضت لتاريخ جمع القرآن فيها تحقيقات جيدة إلا أنها اتفقت على أمور ومن هذه الأمور أن النبي قُبض والقرآن مدون بالكامل مفرق عند الصحابة، وسبب عدم جمع النبي للقرآن أن الحاجة لم تدع إلى ذلك، وأن نزول القرآن لم ينته إضافة إلى إمكان ورود الناسخ وغيرها من الأسباب، واتفق الباحثون على أن الجمع في عهد أبي بكر تم وانتهى، وما حدث في عصر عثمان هو مشروع جديد تختلف أهدافه وبواعثه عن المشروع الأول.

وأبقت الدراسات السابقة في جمع القرآن على الكثير من الأسئلة دون إجابات واشتركت في عدد من الإشكالات التي تحتاج إلى حل:

ومن هذه الإشكالات:

1. الحاجة للتوفيق بين الروايات التاريخية المتعارضة بالتأويل أو برد الرواية.
2. عدم التعرض لمصير صحف أبي بكر طيلة خلافة عمر رضي الله عنه وهي فترة طويلة نسبياً.
3. تحدثت المؤلفات عن الفرق بين جمع أبي بكر وعثمان من حيث الباعث والهدف منهما إلا أنها لم تذكر أثرَ الباعث على الآليات الإجرائية للجمع.
4. جعل جلّ الباحثين جمع عثمان هو عبارة فقط عن نسخ مصحف أبي بكر وإلزام الأمة به وتحريق النسخ المخالفة وهذا يختلف مع الروايات التي وردت بهذا الشأن إذ إن بعض الروايات تثبت أن عثمان رضي الله عنه ظل يستقبل ما عند الناس من نسخ ويستحلفهم أن النبي أملاها عليهم[2].

كل هذه التساؤلات والإشكالات وغيرها يمكن أن يجيب عنها النظرة لجمع القرآن على أنه مشروع متكامل مر بمراحل عدة في عصر الخلافة الراشدة، وبالرغم من أن أهم ما في مشروع المصاحف انتهى في العصر الراشدي إلا أن هذا المشروع مشروع الأمة وفي كل عصر من العصور يتم الإسهام في العناية بالمصاحف رسماً وتطويراً وطباعة وغيرَ ذلك.

خطة البحث:

استدعت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مطالب رئيسة إضافة إلى المطلب التمهيدي، وجاءت خطة البحث على النحو الآتي:

-**الملخص.**

-**المقدمة المنهجية.**

-**المطلب التمهيدي:** تدوين القرآن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

([1]) أبو زيد، **جمع القران في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث**، رسالة ماجستير، الكويت، 1419هـ، الكتاب موجود على الشبكة العنكبوتية.

([2]) ينظر ص 24 من هذا البحث.

-**المطلب الأول:** الأسباب المباشرة لمشروع المصاحف في العصر الراشدي.
-**المطلب الثاني:** مراحل مشروع المصاحف في العصر الراشدي.
-**المطلب الثالث:** منجزات مشروع المصاحف في عصر الخلافة الراشدة.
-**الخاتمة وأهم التوصيات.**
-**الهوامش**
-**قائمة المراجع والمصادر.**

المطلب التمهيدي: تدوين القرآن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم:

معلوم بلا خلاف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقبض إلا والقرآن محفوظ في الصدور بترتيب آياته التي هي عليه الآن، ونقل لنا حفظه الجمع الغفير من الصحابة[3]، وبقي حتى عصرنا القرآن المحفوظ شفاهة، المنقول بالتواتر هو الحجة الرئيسة لنقل القرآن[4].

وهذا الحفظ في الصدور من خصائص القرآن التي لا نجدها في غيره على مر الدهور، والتي امتن الله بها على عباده، يقول تعالى: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) (العنكبوت: ٤٩)، وقال تعالى في الحديث القدسي ممتناً على نبيه: "وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء"[5]، وجاء وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة "بأن أناجيلهم في صدروهم"[6].

أما عن التدوين في العصر النبوي فمن خلال القراءة المتأنية لما جاء من روايات ولما كتب عن هذه المرحلة من تدوين القرآن خلصت إلى النتائج التالية:

1. كل أدلة الكتابة في العهد المكي أدلة ظنية محتملة يُستأنس بها ولا تصل إلى درجة القطعية، ومنها الآثار التي وردت عن إسلام عمر والصحيفة التي وجدها عند أخته[7]، ومنها خبر رافع بن مالك وغيرها[8]، والقارئ المتأني في معاناة المسلمين في مكة والتنكيل الذي تعرضوا له وهجرتهم السرية يترجح عنده أن ما نزل بمكة من القرآن لم يُدون كاملاً، لا سيما إذا استحضرنا أن بيوت مكة كان بعض أفرادها مؤمن وبعضهم كافر فقد يكون الزوج مؤمناً وزوجته كافرة، وكذا الأم والولد، لكن هذا لا يمنع أن بعض المقاطع دونت وتم تداولها بطريقة سرية[9].
2. أخذت كتابة القرآن في العهد المدني بعداً جديداً فقد أصبحت كتابة رسمية برعاية الدولة الإسلامية الوليدة وعلى رأسها النبي عليه الصلاة والسلام، وتم تعيين موظفين رسميين لهذه المهمة يُدعون كتبة الوحي، وكان هؤلاء يكتبونه بين يديه، جاء في صحيح البخاري عن البراء قال : "لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادع لي زيداً وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة ، ثم قال: اكتب لا يستوي

([3]) زرزور، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، ينظر الصحابة الحفاظ ص121 وما بعدها.

([4]) الباقلاني، **الانتصار لنقل القرآن**، ينظر الحجة على نقل القرآن بالتواتر ص62 وما بعدها.

([5]) **صحيح مسلم**، شرح النووي، 159/8.

([6]) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، 124/13.

([7]) الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ينظر قصة إسلام عمر رضي الله عنه 65/4، 6897.

([8])ر افع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الزرقي شهد العقبة، وكان أحد النقباء قال سعد بن عبد الحميد بن جعفر: كان أول من أسلم من الخزرج، وكان من الكملة، والكامل هو الذي يحسن الكتابة والعوم والرمي، انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 622/3-621.

يقول ابن قدامة المقدسي في كتابه "الاستبصار:"قال الأموي: إن رافع بن مالك هو الذي حمل المصحف من مكة المدينة. وهو لاشك كلام مجمل يحتمل معنى نقل القرآن مكتوباً، ويحتمل معنى نقله محفوظاً. وينقل لنا تفضيل هذا الخبر ابن حجر العسقلاني في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" بقوله: روى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن عمر بن حنظلة أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن، وأن رافع بن مالك لما لقي رسول الله بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت فقدم به رافع المدينة، ثم جمع قومه فقرأ عليهم في موضعه قال: وعجب النبي من اعتدال قبلته.ينظر:

– المقدسي، **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، ص 174. وينظر: ابن حجر، **الإصابة في معرفة الصحابة**، ج 444/2

([9]) والأدلة التي ذكرها الباحثون ومنهم اسبينداري عن كتابة القرآن في العهد المكي كلها أدلة طرأ عليها الاحتمال فبطل بها الاستدلال ولا يمنع من الاستئناس ببعضها للقول بأن هناك تدويناً لكنه ليس بالضرورة غطى كل ما نزل في مكة، ينظر:

–اسبينداري، عبد الرحمن، **كتابة القرآن في العهد المكي**، ينظر الفصل الرابع: الأدلة على كتابة القرآن الكريم في العهد المكي، ص31 وما بعدها.

القاعدون، وخلف ظهر النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أم مكتوم الأعمى قال: يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر فنزلت مكانها (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) في سبيل الله (غير أولي الضرر)" [10].

3. كان الصحابة يؤلفون القرآن المكتوب على الترتيب الرباني للآيات لا على ترتيب النزول بأمر من النبي، فقد جاء عن عثمان رضي الله عنه قوله: "كانت الآية والاثنتان إذا نزلت يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضعوا هذه في سورة كذا"[11]، وجاء عن زيد بن ثابت أنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"[12].

والقول بتأليف القرآن على الترتيب التوقيفي على عهد النبي لا يمنع من أن النصوص القرآنية المكتوبة بين يدي الناس لم تكن كل آياتها مؤلفة على ترتيب العرضة الأخيرة وهذا مرده النزول المفرق لكتاب الله [13].

4. أدوات الكتابة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام هي: الصحف والألواح والعسب واللخاف والأكتاف وغيرها[14].
5. كانت عملية الكتابة تخضع للتدقيق النبوي، يقول زيد بن ثابت: " كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ، ثم سري عنه ، فكنت أدخل عليه بقطعة القتب أو كسرة فأكتب وهو يملي علي ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت ، قال : اقرأه ، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس"[15].
6. كان المكتوب من القرآن مفرقاً عند كتبة الوحي وعند الناس ولم يكن مجموعاً في مكان واحد.
7. لم يكن المكتوب من القرآن حجة أو مرجعية للصحابة في شيء لعدم الحاجة فقد كان النبي بين ظهرانيهم وكان هو المرجع والمآل لكل خلاف[16].
8. لم يُقبض النبي إلا وقد شرع كتابة القرآن ورغّب فيها وتم تدوين القرآن كاملاً من فم النبي الكريم مكيّه ومدنيه وكان مفرقاً عند الصحابة قبل وفاته. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَتِ الْمَصَاحِفُ لاَ تُبَاعُ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِوَرَقِهِ عِنْدَ النَّبِي –صلى الله عليه وسلم– فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَحْتَسِبُ فَيَكْتُبُ ثُمَّ يَقُومُ آخَرُ فَيَكْتُبُ حَتَّى يُفْرَغَ مِنَ الْمُصْحَفِ"[17].

([10]) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، باب كاتب النبي صلى الله عليه، حديث 4990.

([11]) الباقلاني، أبو بكر(ت402هـ)، **الانتصار**، ص84.

([12]) ابن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، رقم الحديث114، 4/1، قال الألباني حديث صحيح، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح ورجاله رجال الشيخين.

– ينظر أدلة توقيفية ترتيب الآيات في كتاب:

– عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 433./1

([13]) إذ قد يتم تدوين نص قرآني من قبل الصحابة ثم تتنزل آيات ينبغي إضافتها في هذا النص، ولا نعلم كيف يتم إضافة الآيات في مواقعها هل يُحك النص القديم ويُكتب الجديد؟ أم تترك النصوص القديمة وتُكتب نصوص جديدة بالترتيب الذي أمر به النبي؟ وما أرجحه أن عشرات النصوص المكتوبة المتناقلة بين الصحابة لم تكن مرتبة آياتها على العرضة الأخيرة وهذا الذي دفع الخلفاء للتعامل مع هذه النصوص في مشروع المصاحف الأول.

([14]) ينظر روايات جمع القرآن في صحيح البخاري.

([15]) الطبراني، **المعجم الكبير**، 58/2، 4756.

– قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب: علامات النبوة (13938): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. وقال في كتاب العلم (684): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون، إلا أن فيه: وجدت في كتاب خالي. فهو وجادة.

([16]) وحادثة اختلاف هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب في قراءة سورة الفرقان خير دليل أن النبي عليه السلام هو الحجة والمآل في كل خلاف، ينظر:

– **صحيح البخاري**، متن فتح الباري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، (375/12)، حديث رقم 6936.

([17]) البيهقي، **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، 16/6، 11390، باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الْمَصَاحِفِ.

المطلب الأول: الأسباب المباشرة لمشروع المصاحف في العصر الراشدي:

تعرض المسلمون لصدمة وفاة النبي وما يتبعه من انقطاع خبر السماء، وفي اليوم التالي لبيعة المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة دُعي عمر بن الخطاب إلى الصلاة ووقف أبو بكر على المنبر، وقام عمر وتكلم بين يديه وقبله، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله: أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي، وما وجدتها في كتاب الله عز وجل، ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى معكم كتابه الذي به هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن اعتصمتم به هداكم لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار وأولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوا. فبايع الناس بيعة عامة بعد سقيفة بني ساعدة وتكلم أبو بكر[18].

والناظر المدقق يجد أن كلام عمر رضي الله عنه يعكس وعياً مبكراً بأهمية الاعتصام بكتاب الله وأهمية أن تنصرف إليه العقول والقلوب، فهو الباقي للمسلمين بعد وفاة نبيهم مهما تطاولت الأيام والأزمنة، هذا الوعي من عمر ستتضح معالمه في اقتراحه على أبي بكر أن يجمع القرآن بعد أن استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة.

ونقلت لنا الروايات التاريخية أن السبب المباشر للبدء بالمشروع هو ما جاء في صحيح البخاري عن زيد أنه قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد، قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن، قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر، رضي الله عنه"[19].

وأما عن مرحلة الجمع في زمن عثمان فقد أخرج ابن أبي داود في كتابه المصاحف عن أبي قلابة قال:" لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة للرجل، والمعلم يعلم قراءة للرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين قال أيوب لا أعلمه إلا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً"[20].

وقد جاء ما يُصادق على مخاوف عثمان رضي الله عنه فقد جاء في صحيح البخاري:" إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن

([18]) ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل بن عمر(ت774هـ)، **البداية والنهاية**، 268/5. وقد روى البخاري بعضاً من كلام عمر في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، 305/13.

([19]) **صحيح البخاري**، متن فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، متن فتح الباري، ج9/ص12، حديث رقم 4986.

([20]) وسند الحديث رجاله ثقات إلا أن فيه أبو قلابة وهو كثير الإرسال ولم يصرح هنا بمن حدثه به فسنده منقطع. ينظر:

– ابن أبي داود، **كتاب المصاحف**، ص204.

العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[21].

يمكن من خلال الروايات السابقة الوقوف على دوافع وأسباب مشروع المصاحف في العصر الراشدي:

1. انتهاء نزول القرآن بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام وانقطاع خبر السماء، وعليه فالنص القرآني اكتمل ولن يحدث عليه أية إضافات أو تعديلات.
2. فقدان المرجعية التي كانت للمسلمين في حال الخلاف بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام.
3. مقتل عدد كبير من حفظة كتاب الله أو مَن يُسمون بالقراء في معركة اليمامة، مما زاد المخاوف من ضياع القرآن.
4. ظهور بوادر الاختلاف في قراءة القرآن، وقد تفاقم هذا الخلاف وأخذ بعداً خطيراً وصل للكفر والتكفير بين المسلمين.

المطلب الثاني: مراحل مشروع المصاحف في عصر الخلافة الراشدي:

يصعب على الدارس فصل مراحل المشروع بسبب تداخل الروايات، وإهمالها للتحديد الدقيق لبدء ونهاية كل مرحلة ومنجزاتها، ثم إن الخلفاء الأربعة كانوا من أهم شخصيات المشروع منذ بدايته فإذا وردت رواية عن أحدهم يصعب الجزم هل هي في عهد خلافته أم في عهد من سبقه، إلا إذا جاء في الرواية تصريح بذلك، أو جاء في الرواية ألفاظ تثبت أن هذه الرواية في عهد هذا الخليفة أو ذاك، مثل العزم على الناس أو الأمر بشيء، ومعلوم أن العزم والأمر لا يكونان إلا من ولي الأمر.

من صعوبات فصل مراحل مشروع المصاحف كذلك غياب الكثير من التفاصيل في المرويات، لكن بعض الإشارات تمكننا من تقسيم المراحل على الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

أ-المرحلة الأولى: مشروع المصاحف في خلافة أبي بكر الصديق:

يمكن تلخيص مجريات الأمور في هذه المرحلة على النحو التالي:

1. تم تشكيل لجنة مؤلفة من زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب وأبي بن كعب وغيرهما[22].
2. قامت اللجنة بجمع كل النصوص القرآنية المكتوبة عند الصحابة، والاطلاع عليها مثل النصوص التي أتت بها الصحابية أم عامر الأشملية والتي كتبها لها أبي بن كعب[23]، وهذا أشبه بعملية مسح لما بين يدي الناس من القرآن المكتوب.
3. بالرغم من أن اللجنة استقبلت كل النصوص إلا أنه لم يتم الاعتماد إلا على المكتوب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإشهاد عليه بشهادة شاهدين[24].
4. تمت عملية جمع النصوص والإشهاد عليها على باب المسجد، على مرأى من الناس ومسمع.
5. قامت اللجنة بعملية مقارنة بين النصوص القرآنية المخطوطة والمحفوظ في صدور الرجال ليتم تأليف الآيات المكتوبة على ترتيب القرآن المحفوظ من العرضة الأخيرة، ومما يشير إلى عملية المقارنة تلك قول زيد في حديث جمع القرآن:".. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال.." وقوله:(في صدور الرجال) تحتمل أمرين ذكرهما ابن حجر إما أن هناك أجزاء غير مدونة فدونها زيد مما هو محفوظ في صدور الرجال أو أن يكتبه زيد موافقاً للمحفوظ في صدور الرجال[25]، والاحتمال الأول ترده روايات فقد آيات التوبة فقد توقف الصحابة عن إثباتها بالرغم من حفظهم لها حتى

([21]) **صحيح البخاري**، متن فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج9/ص12، حديث رقم 4987.

([22]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج19/9، فقد ذكر ابن حجر روايات تثبت أن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب كانا من لجنة الجمع

([23])الباقلاني، **الانتصار**،147/1.

([24]) وحديث الشاهدين قال عنه ابن حجر في فتح الباري رجاله ثقات مع انقطاعه، 17/9 وقضية الشاهدين تحتاج مزيد تحقيق.

([25]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مج18/9.

وجدوها مكتوبة عند خزيمة بن ثابت، ويبقى الراجح هو أن معنى قول زيد(..في صدور الرجال) هو مقارنة النصوص المكتوبة بالمحفوظة.

6. بعد جمع النصوص القرآنية المخطوطة تم نسخها في صحف، وأعيدت كل النصوص إلى أصحابها.
7. حوت الصحف التي نُسخت القرآن مرتباً على العرضة الأخيرة، وحُفظت الصحف في بيت الخلافة عند أبي بكر.
8. لم يحدث إلزام للمسلمين بالصحف الرسمية، ففي رواية للبخاري في صحيحه في باب تأليف القرآن عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ قال يا أم المؤمنين أريني مصحفك قالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور"[26]. ويوسف بن ماهك لم يدرك زمن عثمان، والقول في الحديث(فأملت عليه آي السور) يجعل الحديث عن تأليف الآيات، وهذا إن دل على شيء إنما يدل أنه لم يتم اعتماد نسخة أبي بكر بين الناس، ولم يتم إلزامهم بها بعد.

ومع حرص الناس على قراءة القرآن وكتابته مؤلفاً على العرضة الأخيرة فلا يُعقل أن نسخة أبي بكر لم ينسخ منها، ولم تعمم على الأمة حتى زمن عثمان إلا أن يكون العمل ما زال جارياً على إنجاز هذه النسخة ولم ينته مشروع الجمع في حياة أبي بكر[27].

9. ومن الأدلة على أن مشروع الجمع في زمن أبي بكر لم يكتمل عدم وجود روايات صحيحة تثبت أن المشروع الذي بدأ في عصر أبي بكر انتهى قبل وفاته، وكل من قال بذلك قاله افتراضاً بدون دليل معتمداً على ما جاء في الروايات:".. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر...."، وهذا النص حقيقة قد يُستدل به على عكس ما ذهبوا إليه إذ السؤال المشروع لم بقيت على تسميتها صحفاً إن كملت وجمعت؟ أليست تسمية المصحف تم اقتراحها على زمن أبي بكر؟ ثم ما معنى كلمة المصحف؟

للإجابة عن هذه الأسئلة أقول إن أبا بكر استشار في اسم المجموع من القرآن فأسماه مصحفاً[28]، ولم تكن العرب تعرف لفظة المصحف بمعنى الكتاب الذي يجمع بين دفتيه صحفاً مكتوبة، مع أنها عرفت الصحف والصحيفة والصحائف وهي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه[29]، وبعد أن أصبحت كلمة المصحف علماً على القرآن المجموع بين الدفتين، ذكرها اللغويون في

([26]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم 4993، مج46/9.

([27])وقد سوغ أحد الباحثين عدم نسخ مصحف أبي بكر بقوله:"أما عدم نسخ كبار الصحابة مصاحف على نمط ما جمعه أبو بكر فلم يكن هناك ما يدعو لذلك لعدم اختلاف ما جمعه أبو بكر عما عند الناس، وأن بعضهم كتبوا مصاحفهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتلقوه منه سماعاً– فكان جمع أبى بكر بمثابة سجل للقرآن يرجع إليه إذا حدث أمر" ينظر:

– الكردي، **تاريخ القرآن الكريم**، ص18.

([28]) وهذا ذكره الباقلاني في الانتصار، وذكره الزركشي في البرهان نقلاً عن المظفري في تاريخه قال:" لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم سموه إنجيلاً، وقال بعضهم سموه السفر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود رأيت للحبشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه به"، ينظر:

–الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 317/1.

([29]) الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص467. ينظر أيضاً:

–ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 33/2.

المعاجم مثل صاحب العين الذي قال:" وسُمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف، أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين"[30].

ما سبق يحمل على الاعتقاد أن الصحف التي كانت في بيت أبي بكر لم تكن قد اكتملت لهذا لم تُسم مصحفاً.

ومن الأدلة العقلية على أن جمع أبي بكر للقرآن لم يكتمل في عهده قِصَر خلافة أبي بكر وجمع القرآن بدأ بعد معركة اليمامة والتي على أرجح الأقوال بدأت في أواخر السنة الحادية عشرة للهجرة، ونقل جماعة من أهل السير والتاريخ أن وقعة اليمامة كانت في ربيع الأول من السنة الثانية عشرة للهجرة وجمع ابن كثير بين الأقوال بأن ابتداءها كان في السنة الحادية عشرة وانتهاءها في الثانية عشرة[31]، ونحن نعلم أن وفاة أبي بكر رضي الله عنه كان في منتصف السنة الثالثة عشرة للهجرة فهذا يعني أنه في أفضل الأحوال على رأي من قال إن مشروع أبي بكر اكتمل في حياته أنه استغرق سنة ونصف، والمتأمل في حجم عملية الجمع يجد أن هذا الوقت قصير نسبياً لإتمام هذا المشروع الضخم والذي يتناول آلاف النصوص المكتوبة[32] على غير الترتيب التوقيفي للآيات ومقارنتها ببعضها، ومقارنتها بالمحفوظ عند الصحابة ومن ثم نسخها في الصحف ثم جمع الصحف في مصحف.

هذه بعض الأدلة التي تحمل على القول بأن المشروع بدأ في عهد أبي بكر ولم ينته مع وفاته[33].

ب-المرحلة الثانية: مشروع المصاحف في خلافة عمر بن الخطاب:

قد يظن البعض أن دعوى عدم انتهاء الجمع الأول في خلافة أبي بكر فيها مجازفة وتفتقر إلى الدليل، إلا أن بعض الآثار التي وصلتنا عن جمع عمر رضي الله عنه للقرآن يمكن الاستئناس بها ومنها رواية أن عمر بن الخطاب أراد أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال من كان تلقى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا به وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان فقتل وهو يجمع ذلك ..." [34].

وعن الخطابي قال:" يُحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزول القرآن بوفاته صلى الله عليه وسلم ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفاً، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضي الله عنه بمشورة عمر"[35]، وكلمة (ابتداء) في النص السابق تشير إلى أن الجمع مشروع واحد تم في عصر الخلفاء الراشدين وكانت بدايته في عهد الصديق.

وجاء في رواية لعمارة بن غزية :" أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده"[36].

([30]) الفراهيدي، **العين: مرتباً على حروف المعجم**، 380/2.

([31]) ابن كثير (774هـ)، **البداية والنهاية**، 376/6.

([32]) وقولي آلاف لأن النبي عليه الصلاة والسلام توفي والصحابة عددهم فوق المئة ألف وكثير منهم كتب بين يدي رسول الله، ومنهم من استكتب غيره ليكتب له. وسنبسط الحديث عن هذا لاحقاً عند الحديث عن أهداف مشروع المصاحف في العصر الراشدي.

([33]) وسأذكر أدلة أخرى على ما ذهبت إليه من عدم اكتمال الجمع في زمن أبي بكر عند حديثي عن المرحلة الثانية من المشروع في خلافة الفاروق.

([34]) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص172. وقد ذكر محقق كتاب المصاحف محب الدين واعظ أن المتن منكر لأنه مخالف لما هو المعروف الثابت. و في سنده محمد بن عمرو بن علقمة وهو صدوق وله أوهام، وإسناده منقطع لأن يحيى بن عبد الرحمن لم يلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ولد في خلافة عثمان بن عفان.

([35]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، 15/9.

([36]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، 19/9. وذهب ابن حجر إلى توهين الرواية وجعل غيرها أصح، وتابعه صاحب الإتقان بقوله: إنما كان في الأديم والعسب قبل الجمع الذي تم في عهد أبي بكر ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة، ينظر:

-السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، النوع الثامن عشر، في جمع القرآن وترتيبه، ص132. وقد ناقش الشيخ علي الخفيف رأي ابن حجر في توهين الرواية قائلاً ليس لترجيحه وجه قوي، ودعا إلى البحث في سند رواية عمارة بن غزية حتى تطمئن النفس لها، ينظر:

وأغلب من كتب في جمع القرآن ردوا هذه الآثار إما لتناقضها مع روايات أخرى، أو ردوها من ناحية السند فأغلبها منقطع، وقالوا الصحيح إن عمر أشار على أبي بكر بالجمع وكان مشاركاً فعالاً في الجمع على أرض الواقع، والذي يحدونا لقبول مثل هذه الروايات المنقطعة أنها لا تناقض المرويات الصحيحة، وقد تساهل المتقدمون في قبول روايات منقطعة الأسانيد في جمع القرآن مثل رواية الشاهدين المشهورة[37]، وما ذاك إلا لعلمهم أن معاملة الروايات التاريخية بطريقة المحدثين سيسقط أجزاء من التاريخ ويجعل فيه فجوات يصعب ردمها، إضافة إلى أن التوفيق بين المرويات التي يُظن بها التعارض ممكن بحسب النظرية التي يقدمها هذا البحث، والنظرية التي توفق بين الروايات المتعارضة خير من النظرية التي تُبقي على الاضطراب في تاريخ الجمع.

ويعد وجود هذا الكم من الروايات إضافة إلى عدم وجود روايات تنبئ عن الإفادة من النسخة التي يُفترض أنها أُنجزت في زمن أبي بكر يحمل على الاعتقاد أن عملية الجمع كانت على قدم وساق في زمن عمر بن الخطاب ولم تنتهِ في زمن أبي بكر وقد ذكر ابن حجر في معرض كلامه عن جمع القرآن رواية أخرجها ابن أبي داود من طريق عبد الله بن مغفل وجابر بن سمرة قال: قال عمر بن الخطاب: "لا يُملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف"[38].

إضافة إلى ما سبق فإن إتلاف صحف أبي بكر التي كانت عند عمر في حياته وعند حفصة مدة حياتها بأمر أمير المدينة مروان بن الحكم وتسويغه لفعله بقوله: "...حتى لا يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب" يدل على أنه لم يتم تعميم هذه الصحف ولم يتم نسخها إلى نسخ لأكثر من عشر سنوات وهي مدة خلافة عمر رضي الله عنه، وهذا لا يُتصور عقلاً إلا إذا كانت هذه الصحف هي مرحلة من مراحل الجمع انتهت بنسخ عثمان للمصاحف.

عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مرحلة خلافته على تثبيت النص القرآني حفظاً وكتابة على الصورة التي ثبت عليها في العرضة الأخيرة.

ومن الإشارات التي تعطينا إياها الروايات التاريخية يمكننا تلخيص مجريات الأمور في عصر عمر بن الخطاب فيما يأتي:

1. تابع عمر ما بدأه أبو بكر الصديق من جمع ما في أيدي الناس من النصوص القرآنية ونسخها بما يتوافق مع العرضة الأخيرة ولا تسعفنا الروايات بتفاصيل لهذه المرحلة ولا تاريخ انتهائها[39].
2. جمع الفاروق رضي الله عنه الناس على صلاة التراويح، ومعلوم ما للقراءة الجهرية من أثر في تمكين الترتيب التوقيفي لآيات القرآن على العرضة الأخيرة في صدور المسلمين.

جاء في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: " خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب. ثم خرجت معه ليلة أخرى

–الخفيف، **جمع القرآن وتدوينه**، ص29 وما بعدها.

([37]) ورواية الشاهدين عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع فقال لعمر ولزيد بن ثابت اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه، والحديث قال عنه ابن حجر في فتح الباري رجاله ثقات مع انقطاعه، 17/9

([38]) وقد أشار الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أن عملية الجمع استمرت في عهد عمر إشارة سريعة تحت عنوان النص القرآني بعد وفاة النبي جاء بعنوان فرعي: في عهد أبي بكر وعمر، قال فيه..." وعودة إلى حال هذا المصحف في عهد عمر رضي الله عنه حين أصبح أميراً للمؤمنين لنؤكد أنه استمر على ما كان عليه أيام أبي بكر مع مزيد من النشاط في تعليم الناس القرآن..." ينظر: –شاهين، عبد الصبور، **تاريخ القرآن**، ص110.

([39]) جاء في رواية أن عمرَ جعل المصحف أثماناً، وقد نستأنس بهذا على أن عملية الجمع الأولية انتهت في زمن عمر بن الخطاب لأن التقسيم والترتيب لا يتم إلا بعد الجمع، ينظر:

–الباقلاني، **الانتصار**، ص354

والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه....." [40]، وقول الراوي:"..ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب.." ومعنى عزم في الرواية أمر رسمي من الدولة.

3. اهتم عمر رضي الله عنه بالقراءة والإقراء تمكيناً للمحفوظ على الترتيب التوقيفي لآيات القرآن، وقد ذكر أبو العالية أنه قرأ القرآن على عمر بن الخطاب أربع مرات[41]، وأرسل القراء إلى الأمصار، فعن محمد بن كعب قال لما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه يزيد بن أبي سفيان إن أهل الشام قد كثروا واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني برجال يعلمونهم فدعا عمر كلاً من معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وقال لهم: إن إخوانكم قد استعانوني من يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينوني يرحمكم الله بثلاثة منكم. فخرج عبادة بن الصامت إلى حمص وخرج أبو الدرداء إلى دمشق وخرج معاذ بن جبل إلى فلسطين ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى توفاه الله تعالى"[42] وكان الفاروق يدني القراء وكانوا هم أصحاب مجلسه ومشاورته كهولاً كانوا أم شباناً[43].
4. لم يلزم الخليفة عمر الصحابة بالتخلي عن النصوص المكتوبة التي بين أيديهم لكنه حد من كتابة نصوص جديدة من حفظهم خوفاً من الخطأ في المكتوب[44].
5. قام عمر رضي الله عنه بتوجيه المسلمين إلى تجريد مصاحفهم من التفسير والأحكام والحديث وكل ما سوى آيات القرآن.

انقضت المرحلة العمرية من المشروع بعد تثبيت النص القرآني حفظاً وشفاهة على صورة العرضة الأخيرة، وتوجيه الناس إلى أهمية مطابقة المكتوب للمحفوظ، حتى إذا ثبت هذا في نفوس الناس جاءت المرحلة الثالثة من المشروع.

ج-**المرحلة الثالثة: مشروع المصاحف في خلافة عثمان بن عفان:**

1. تابع عثمان رضي الله عنه العمل على مشروع المصاحف.
2. قام عثمان رضي الله عنه بتشكيل لجنة رسمية من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[45]، وغيرهم[46].
3. قامت اللجنة بنسخ الصحف التي تركها عمر رضي الله عنه عند حفصة أم المؤمنين.
4. راعت اللجنة القواعد الإملائية والكتابية في ذلك العصر، وكانت اللجنة تعتمد عند الاختلاف القواعد الكتابية لقريش[47]، ولا مانع من أن تكون اللجنة ابتكرت قواعد خاصة لرسم المصحف في بعض المواطن.
5. لم تكتف اللجنة بالنسخ عن المصحف الذي تم جمعه أولاً والذي كان محفوظاً عند حفصة بل تابعت اللجنة جمع ما في أيدي الناس من المخطوطات القرآنية وتابعت اللجنة كذلك مقارنة المكتوب بالشفاهي المحفوظ، فقد جاء في رواية تصف

([40]) **صحيح البخاري**، متن فتح الباري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، حديث 2010، 314/4.

([41]) محيسن، محمد سالم، **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**، 241/1.

([42]) محيسن، **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**،233/1.

([43]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث 7286، 13 /311.

([44]) الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقة الأصفياء**، 124/1، ينظر الرواية التي تثبت غضب عمر بن الخطاب عندما علم أن رجلاً يكتب مصحفاً من إملائه.

([45]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث4987، 13/9.

([46]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 22/9. وقد ذكر ابن حجر رواية عند ابن أبي داود عن ابن سيرين مفادها أن عدد أعضاء اللجنة اثنا عشر رجلاً ذكر أسماء تسعة منهم.

([47]) الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)، **سنن الترمذي**، 284/5. ينظر رواية الزهري واختلافهم في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال:اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش"، أي بدء نزوله بلسان قريش كما ذهب الباقلاني وغيره، ولا يفوتني أن أنوه هنا أن الكلام عن قواعد كتابية لا على المقروء فلا خلاف في قراءة التابوت في القراءات المتواترة.

عمل اللجنة:"...وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه.." [48] قيل أخروه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة.

وفي رواية أن اللجنة اجتمعت "..فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤوا في آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاناً، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقراك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها وقد تركوا لها مكاناً[49].

ومن الروايات التي تثبت أن عمل اللجنة لم يكن فقط نسخ صحف أبي بكر الرواية التي ذكرت خطبة عثمان في الناس فقال:" أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاثة عشر وأنتم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لمّا جاء به وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ثم دخل عثمان فناشدهم أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك فيقول نعم"[50].

ما سبق يثبت أن ما تم في زمن عثمان في مشروع المصاحف لم يكن مجرد نسخ لمصحف حفصة بل كان عملية موازنات ومقارنات بين المقروء المحفوظ وبين المكتوب وهذا وإن كان يشبه بوجه ما جرى في المراحل السابقة إلا أنه يختلف عنه فمراحل المشروع السابقة كان هدفها حفظ النص الأصلي المكتوب من أن يطرأ عليه التغيير، أما هذه المرحلة فهي حفظ للقراءات المتواترة وتثبيت شرعيتها، واستبعاد القراءات الشاذة، وقطع دابر الاختلاف بين المسلمين[51].

6. راعت اللجنة أثناء النسخ الاختلاف في القراءات المتواترة في بعض المواطن تثبيتاً لشرعية هذه القراءات ومنه (أصحاب الأيكة) في سورة ق والحجر فقد رسمت بالهمزة لإجماع القراء على قراءتها هكذا. بينما رسمت في الشعراء و ص (أصحاب ليكة) إشارة لقراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ووافقهم ابن محيصن، وقرأها الباقون(أصحاب الأيكة) [52]، وأما بعض الألفاظ التي فيها أكثر من رواية متواترة مما يتعذر الجمع بينها في رسم المصحف الواحد فكانت تكتب في أحد المصاحف بقراءة وفي الأخرى بغيرها، مثل قراءة: (أوصى)، و(وصى) في قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب)(البقرة، 132) [53].
7. قامت الدولة الإسلامية بأمر الخليفة عثمان رضي الله عنها بإتلاف كل النسخ الفردية التي بين أيدي الصحابة لما فيها من اختلاف في ترتيب الآيات ولما فيها من زيادات على النص القرآني الأصلي فقد كان الصحابة لا يتحرجون من كتابة التفسير والأحكام والأدعية المأثورة في نفس الصحيفة.
8. منذ لحظة إتلاف النسخ الفردية لمصاحف الصحابة أصبح أمر المصاحف إقراءً وكتابةً شأناً رسمياً من شؤون الدولة.
9. تم إرسال نسخ من المصحف الرسمي للأمصار. واختُلف في عدد النسخ، ففي صحيح البخاري جاءت الرواية بدون تعيين العدد:" فأرسل إلى كل أفق بمصحف" فلم يذكر عدد النسخ[54]، وقال ابن حجر إن المشهور خمسة مصاحف وفي

([48]) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص133.

([49]) مرجع سابق، ص133.

([50]) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص31.

([51]) وهذا تثبته الروايات التي أوردتها في هذا البحث عند حديثي عن أسباب جمع عثمان وكيف كان المسلمون يكفرون بعض باختلاف القراءات، فكان لا بد من تثبيت شرعية المتواتر ونزعها عن الشاذ وهذا جوهر عمل عثمان رضي الله عنه.

([52]) خاروف، محمد فهد، **الميسر في القراءات الأربع عشر**، ينظر مواضع الآيات.

([53]) الداني، أبو عمرو(ت444هـ)، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ص34.

([54])ابن حجر العسقلاني(ت773هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث4987، 13/9.

رواية سبعة[55]، وقرر أبو عمرو الداني أن الرأي الأصح والذي عليه الأئمة وأغلب العلماء هو أن عثمان رضي الله عنه جعل المصاحف أربعة، فأمسك نسخة عنده وأرسل الباقي إلى الكوفة والبصرة والشام[56].

10. لم يستقل المكتوب من المصاحف بحجيته عن المقروء، بل بقي الإقراء هو الأصل، وكان مع كل مصحف قارئ مبتعث رسمياً تم تعيينه من الدولة الإسلامية.
11. مع انتهاء مشروع المصاحف، وتعميم النسخ الرسمية التي أُنجزت في خلافة عثمان وتداولها بين الناس، لم يبق من مشروع المصاحف إلا الرقابة على النسخ الشخصية وإتلاف المخالف منها، وفي رواية عن علي رضي الله عنه أنه كان يُخَرِّق المصاحف المخالفة لمصحف أبي بكر[57].

وهنا لا ينبغي أن نغادر مراحل مشروع المصاحف قبل التأكيد على أن المشروع تم بمشاورة الصحابة وبإجماعهم ولم يعترض منهم أحد على أصل المشروع وكل الاعتراضات التي سجلتها الروايات عن عبد الله بن مسعود إن صحت فهي اعتراضات لا علاقة لها بأصل الموضوع بل بخط سيره وآلياته الإجرائية.

المطلب الثالث: منجزات مشروع المصاحف في عصر الخلافة الراشدة:

مما سبق ذكره في البحث يمكن تلخيص منجزات مشروع المصاحف بما يلي:

1. تدوين آيات القرآن مؤلفة على العرضة الأخيرة.
2. تحقيق الإجماع على ترتيب السور.
3. تثبيت حجية المصحف المكتوب لتضاف إلى حجية المحفوظ في الصدور، مع بقاء اليد العليا للمحفوظ المتواتر على المرسوم.

وما أراه أن قلق أبي بكر وزيد وترددهما في إجابة عمر على جمع القرآن هو إضافة حجية المكتوب للمقروء، إذ لا يعقل أن مخاوفهما سببها جمع المتفرق في مكان واحد.

4. جعل كتاب الله إقراء وكتابة شأناً رسمياً من شؤون الدولة الإسلامية وخاضع لرقابتها، وليس فقط شأناً تعبدياً للأفراد، وذلك معنى قوله لأبي بكر رضي الله عنهما في الرواية سابقة الذكر: "... وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.." .
5. إنجاز نسخة رسمية من المصحف وتعميمها على الناس.
6. التخلص من النسخ غير الرسمية لما فيها من مخالفات في ترتيب الآيات وزيادات ليست من أصل النص القرآني.
7. تثبيت شرعية القراءات المتواترة في المصاحف الرسمية بما يسمح به الرسم.
8. استبعاد القراءات الشاذة والحظر على إقرائها وتدوينها في المصاحف.
9. استقر رسم المصحف على الوجه الذي حصل الإجماع عليه في العصر الراشدي، وظهر ما يسمى علم رسم المصحف وهو العلم الذي يعنى ببيان ظواهر الرسم مثل الحذف والزيادة وبدل والهمز والفصل والوصل، ولم تتوقف جهود الأمة عند العصر الراشدي فقد تعاهد المسلمون كتابهم بكل وسائل الحفظ، وظهر علم الضبط؛ وهو العلم الذي يعنى بنقط وشكل المصحف، وهذا العلم بدأ في عصر التابعين ولم يتوقف حتى الآن.

([55]) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 24/9.

([56]) الداني، أبو عمرو، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ص4.

([57]) وفي الرواية دليل على نسبة النسخة الأخيرة التي أنجزت من المصحف لأبي بكر وهذا يدل على ما ذهبنا إليه أن مشروع المصاحف واحد بدأ بصحف أبي بكر وانتهى بمصحف عثمان، ينظر:

- الباقلاني، **الانتصار**، ص353.

الخاتمة

في نهاية المطاف أقول إني حاولت أن أعبر خط الزمن لأرسم ملامح ما حدث في العصر الراشدي وأصل إلى نتائج مطمئنة في الموضوع والذي كان يبدو لي قبل هذا البحث مشكلاً. إلا أن ما وصلت إليه من نتائج لا يمكن أن يكون نتائج نهائية فقد يكشف البحث التاريخي عن نظرية في مشروع المصاحف أكثر رسوخاً مما توصلت إليه وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام.

وملخص ما وصلت له:

1. جمع القرآن وتدوينه بعد النبي عليه الصلاة والسلام مشروع متكامل بدأ في زمن أبي بكر وانتهى في زمن عثمان وحظي بمباركة الصحابة وإجماعهم عليه.
2. أسباب المشروع ومراحله ومنجزاته ذكرتها في البحث مما يغني عن إعادته هنا.
3. البحث في هذا المشروع هو بحث تاريخي لا يضر الخلاف في جزئياته على إيماننا بحفظ كتاب الله لأن المحفوظ المتواتر المقروء حجة على المكتوب حتى زمننا هذا.
4. لم تحفظ لنا مرويات التاريخ تفاصيل هذا المشروع بما يروي الغليل ويشفي العليل.
5. ما وصلنا من الروايات أنبأنا عن حرص الصحابة، وعملهم المتواصل، وجهدهم الكبير الذي بذلوه في حياطة الدين وحفظ كتاب الله ليصلنا غضاً طرياً كما أنزل على نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

التوصيات:

1-الاهتمام بتحرير المصطلحات في الروايات التاريخية مثل مصطلح جمع القرآن، والتفريق بين مصطلح القرآن والمصحف لأن هناك تعاور في استخدام المصطلحين في الروايات التاريخية، والتفريق بينهما مهم في الفترة المبكرة من تاريخ جمع القرآن.

2-عدم الانقياد أثناء البحث العلمي للنظريات الغربية التي تقلل من قيمة الشفاهي المقروء المنقول بالتواتر وترفع قيمة المكتوب فالأول يبقى حجة على الثاني حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

3-اعتماد المنهج التاريخي في الأبحاث المعنية بتاريخ جمع القرآن؛ لأن الجمع والتوفيق بين الروايات يسهم في إعادة تركيب الأحداث، واسترداد ما جرى في ذاك الوقت، فالباحث يعمل كما يعمل عالم الآثار(الأركيولوجي)الذي يدرس الآثار ليرسم حقائق الحقبة الزمنية، فهو يضع الفترة الزمنية تحت مجهره ويجتزئ إشكاله من صيرورته التاريخية تقديراً لا تحقيقاً. وقد عني الدكتور فريد الأنصاري بشرح وتفصيل المنهج التاريخي في كتابه أبجديات البحث في العلوم الشرعية.

وختاماً فهذا الجهد وعلى الله التكلان وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ)، 1344 هـ، ***السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي***، ط1، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد.

اسبينداري، عبد الرحمن، (د.ت)، ***كتابة القرآن في العهد المكي***، (د.ط)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ملف معد آلياً بواسطة المكتبة الشاملة.

الأصبهاني، أبو نعيم(ت430هـ)،1394هـ، 1974م، ***حلية الأولياء وطبقة الأصفياء***، ط1، دار السعادة، مصر.

الباقلاني، أبو بكر(ت403هـ)، (د.ت)، ***الانتصار لنقل القرآن***، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، مصر، الاسكندرية.

الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)، 1395هـ، 1975م، ***سنن الترمذي***، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ابن حبان (ت345هـ)، 1414هـ،1993م، ***صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان***، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة – بيروت.

ابن حجر، العسقلاني (ت852هـ)،1410هـ، 1989م، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحمد، غانم قدوري، 1433هـ، 2012م ، ***الميسر في علم رسم المصحف وضبطه***، ط1، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة.

حمدان، عمر، (د.ت)، ***مشروع المصاحف الثاني في العصر الأموي***، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الرابع السنة الثانية، نسخة الكترونية.

خاروف، محمد فهد، 1427هـ، 2006م ، ***الميسر في القراءات الأربع عشر***، ط4، دار ابن كثير، دمشق.

الخفيف، علي، 1387هـ، 1967م، ***جمع القرآن وتدوينه***، (د.ط)، مطبعة الأزهر.

الداني، أبو عمرو(ت444هـ)، (د.ت)، ***المقنع في رسم مصاحف الأمصار***، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، (د.ط)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان(ت316هـ)، 1355هـ، 1936م، ***كتاب المصاحف***، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر.

زرزور، عدنان، 1432هـ، 2011م، ، ***علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه***، ط2، دار الأعلام، الأردن، عمان.

الزركشي، بدر الدين(ت794هـ)، 1429هـ، 2008م، ***البرهان في علوم القرآن***، تحقيق محمد متولي منصور، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة.

الزمخشري، جار الله(538هـ)، 1430هـ، 2009م، ***أساس البلاغة***، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

أبو زيد، محمد شرعي، 1419هـ، ***جمع القران في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث***، رسالة ماجستير، (د، ط)، الكويت.

السيوطي، جلال الدين(ت911هـ)، 1432هـ، 2011م، ***الإتقان في علوم القرآن***، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط1،مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان.

شاهين، عبد الصبور، 1966هـ، ***تاريخ القرآن***، (د.ط)، دار القلم.

الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد(ت360هـ)، (د.ت)، ***المعجم الكبير***، (د.ط)، (د.م)، نسخة للمكتبة الشاملة مرقم آلياً غير موافقة للمطبوع.

الطبري، ابن جرير(ت 310هـ)، 1420هـ، 2000م، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.

عباس، فضل، 1430هـ، 2010م، ***إتقان البرهان في علوم القرآن***، ط2، دار النفائس، الأردن.

ابن فارس، أحمد(ت395هـ)، 2011م، ***معجم مقاييس اللغة***، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت170هـ)، 1424هـ، 2003م، ***العين: مرتباً على حروف المعجم***، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل بن عمر(ت774هـ)، 1408هـ، 1988م، ***البداية والنهاية***، تحقيق علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الكردي، محمد طاهر، 1365هـ، 1946م، ***تاريخ القرآن الكريم***، ط1، مطبعة الفتح، جدة.

محيسن، محمد سالم،1412هـ، 1992م، **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**، ط1، دار الجيل، بيروت.

النووي، محي الدين(ت676هـ)، 1414هـ، 1994م، ***شرح صحيح مسلم***، ط1، دار الخير، دمشق.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله(ت405هـ)، 1411هـ، 1992م، ***المستدرك على الصحيحين***، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.